توحيد الله

لفضيلة الشيخ عبدالله أحمد قادري
المشرف الاجتماعى بالجامعـة

- ٢ -

توحيد الالوهية

تعريفه : هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، ولذلك يسمى بتوحيد العبادة أيضاً، كما يسمى بتوحيد القصد والطلب .

والسبب فى تسميته بتوحيد الألوهية تعلقه بألوهية الله ووحدانيته ، كما قال تعالى : « قل هو الله أحد » ، وقال : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » .

والسبب فى تسميته بتوحيد العبادة ، أو توحيد القصد والطلب هو وجوب إفراد العبد ربه بعبادته وقصده اياه وحده ، كما قال تعالى : « ولقد أرسلنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » .

فالله تعالى متفرد بالألوهية — فلا إله سواه — ويجب على الخلق أن يفـردوه بعبادتهم .

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى كتابه : « خصائص التصور الاسلامي » :

(يقوم التصور الاسلامي على أساس أن هناك ألوهية وعبودية : ألوهية يتفرد بها الله سبحانه ، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ماعداه ، وكمـا يتفرد الله سبحانه بالألوهية ، كذلك يتفرد — تبعاً لهذا — بكل خصائص الألوهية وكما يشترك كل حى — وكل شئ بعد ذلك فى العبودية ، كذلك يتجرد كل حى وكل شئ من خصائص الألوهية .

فهناك اذن وجودان متميزان : وجود الله ووجود ماعداه من عبيد الله والعلاقة بين الوجودين هى علاقةالخالق بالمخلوق والإله بالعبيد (ا هـ ص٢١٣)

وهذا القسم من أقسام التوحيد هو

★ تابع ما نشر فى العدد الاولمن هذه السنة الثامنة ..

Made With Pdf Office

الذى انزل الله من أجله الكتب وأرسل الرسل ، وفيه وقع الخصام بينهم وبين المشركين من قومهم فى كل زمان .

فما أرسل الله من رسول إلا دعا قومه إليه ، بل هو أول نداء لكل رسول إلى كل أُمة ، وقد أوضح القرآن الكريم ذلك اجمالا وتفصيلا .

فقال على سبيل الاجمال ، : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (الأنبياء ٢٥) وقال : « ولقد بعثنا فى كل أُمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» (النحل : ٣٦)

وقال ، على سبيل التفصيل ، : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين » إلى قوله : « فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين » . (الأعراف : ٥٩ ــ ٦٤) .

وقال تعالى : « وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » إلى قوله : « قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم إذن لخاسرون فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين » . (الأعراف : ٨٥ ــ ٩١)

وقال تعالى : « وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون » الآيات إلى قوله : « أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » إلى قوله : « فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين » الأعراف : (٦٥ ــ ٧٢) .

وقال تعالى : « وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » إلى قوله : « قال الملأ الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ». إلى قوله: (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين) . (الأعراف : ٧٣ ــ ٧٨)

وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام : « وحاجه قومه قال اتحاجوني فى الله وقد هدان » (الأنعام : ٨٠)

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : « ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دون الله إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم» (يوسف : ٣٩ ، ٤٠)

Made With Pdf Office

وقال عن موسى عليه السلام :
« وهل أتاك حديث موسى اذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى، فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى وأنا أخترتك فاستمع لما يوحى ، انى أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري » . (طه : ٩ — ١٤) .

وقال عن عيسى عليه السلام :
« وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسي ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله » (المائدة : ١١٦ — ومن آية ١١٧)

وقال عن نبينا عليه الصلاة والسلام :
« قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو » . (الأعراف : ١٥٨)

وبهذا يتضح أن تحقيق هذا النوع من أنواع التوحيد كان هدف جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالبداءة به فى الدعوة ، كما قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « انك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة إلا إله إلا الله ، وفى رواية ، إلى أن يوحدوا الله » .

وسبب ذلك أن توحيد الألوهية هو الأساس الذى تقوم عليه جميع شرائع الإسلام وكل عمل صالح ماهو إلا ثمرة له .

قال الأستاذ المودودى وفقه الله فى كتابه : « مبادىء الإسلام » :

(وهذا الأيمان بالا إله إلا الله) هو الركن المهم الأساسي من تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وهو مركز الإسلاموأصله ومصدر قوته ، وكل ماعداه من معتقدات الإسلام وأحكامه وقوانينه انما تقوم على هذا الأساس نفسه ، ولا تستمد قوتها الا منه . والإسلام لايبقى منه شيء لو زال هذا الأساس من مكانه » هـ

قلت ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى فى أعمال الكفار : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» (الفرقان : ٢٣) « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون على شيء ذلك هو الضلال البعيد » (ابراهيم : ١٨)

وهكذا يجب أن يكون تحقيق توحيد الألوهية والدعوة إليه وموالاة أهله ،

Made With Pdf Office

ومعاداة خصومه هدف كل داع إلى الله اقتداء بالرسل عليهم الصلاة والسلام ولاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد سبق أن توحيد الربوبية كان دليل الرسل على توحيد الألوهية ولم يكونوا يدعون الناس إلى الأول – الذى هو الدليل – لأن الناس كانوا مقرين به إذ ذاك ، ولكن طائفة الملحدين فى هذا العصر أنكرت هذا النوع من أنواع التوحيد (توحيد الربوبية) ، ولهذا يجب التركيز عليه وإبراز الحجج العقلية والنقلية عليه لشباب المسلمين وغيرهم لأنه لايمكن اقناع الملحد بتوحيد الألوهية مالم يقتنع بتوحيد الربوبية ، لأن الثاني دليل الأول ، قال تعال : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

وهذا هو معنى : « لا إله إلا الله » التي لايصح اسلام أحد بدونها . كما قال صلى الله عليه وسلم : « أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ، وقال : « بنيّ الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله » الحديث وقال لمعاذ : « فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله » .

معنى لا إله إلا الله

الإله معناه المعبود الذى يخضع له ويذل ويحب .

ومعنى : « لا إله إلا الله » : لامعبود بحق إلا الله .

وهذا القيد : « بحق » يخرج كل ماعبد من دون الله لأن عبادة غير الله ليست بحق كما هو واضح .

فمن عبد الله فقد عبده بحق ، ومن عبد غيره فقد عبده بالباطل والضلال ، كما قال تعالى : « فذلك الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون»

ولهذه الكلمة ركنان :

الأول : نفى الألوهية عما سوى الله .

الثاني : اثبات الألوهية لله وحده .

شروط هذه الكلمة :

وقد ذكر العلماء لهذه الكلمة – أى لصحة إسلام من نطق بها – شروطاً كثيرة ومنها :

الشرط الأول : العلم بمعناها ، فلو قالها الكافر دون أن يعلم مادلت عليه لا يكون بذلك مسلماً ، قال تعالى : « فأعلم أنه لا إله إلا الله » . وقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » وفى الحديث : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

ومقتضى العلم بـ (لا إله إلا الله) الإلتزام بما دلت عليه من نفي واثبات

Made With Pdf Office

ولقد جهل كثير من المسلمين معنى هذه الكلمة التي يرددها المؤذنون من على رءوس المآذن فى جميع المساجد كل يوم مرات ومرات وتنقلها الإذاعات فيسمعها القاصي والداني ، ويكررها المصلون فى تشهدهم فى كل صلاة ، ويواظب عليها الذاكرون فى أورادهم صباح مساء، أقول : لقد جهل المسلمون معنى هذه الكلمة جهلا فاضحاً حتى أصبحوا يرددونها بدون وعى لما دلت عليه ، ولذلك تراهم يخالفون مقتضاها مخالفة قد تخرج الكثير منهم عن الإسلام وقد تبعد كثيرين عن فرائضه .

فمنهم من خالف مادلت عليه فى الاعتقاد كمن يدعو غير الله ويذبح له أو يجعل لغيره حق التشريع فيما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من يخالف مادلت عليه — عملا — كمرتكبي الزنا وشرب الخمر والتعامل بالربا وغير ذلك مما يدخل فى الأول والثاني .

ولقد كان المشركون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون معنى هذه الكلمة فلا ينطق بها إلا من تجرد عن كل ماسوى الله وأخلص له الدين فنبذ كل اعتقاد أو عمل أو قول من أمور الجاهلية ، والا بقى على شركه مستنكراً مضمونها كما قال تعالى : « أجعل الآلهة إلهاً واحدا إن هذا لشيء عجاب » عكس ماعليه كثير من المسلمين فى الأزمان المتأخرة حيث تجدهم يخالفون ذلك المضمون وهم يدعون أنهم مسلمون .

الثاني : اليقين الذى ينفى الشك ، بأن يكون قائلها على يقين بما دلت عليه دون تردد ولا ارتياب ، كما قال تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا فى سبيل الله » الآية إلى قوله : « أولئك هم الصادقون » (الحجرات : ١٥) .

ومن قال : لا إله إلا الله وهو مرتاب فهو منافق كما قال تعالى : « انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » (التوبة : ٤٥) .

وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد الا إله إلا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » . وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بنعليه فقال : « من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ألا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة » .

Made With Pdf Office

الشرط الثالث : قبول مادلت عليه وعدم رده ، فمن رد ذلك لايكون مسلماً كما قال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » . (الزخرف : ٢٣ ، ٢٤)

الشرط الرابع : الانقياد لها ، أى الاستسلام لله تعالى وترك العناد والاستكبار قال تعالى : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو مؤمن » وقال : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، و» والعروة الوثقى : لا إله إلا الله ،

وقال تعالى فى تاركى مدلولها والمستكبرين : « انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » .

الشرط الخامس : الصدق ، أى أن يكون قائلها صادقاً فى قولها بأن يواطى قلبه لسانه ، كماقال تعالى : «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكافرين » . فإذا قالها الشخص وهو غير صادق فى قولها فهو منافق ، كما قال تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » وقال : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مامن أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » ، وقال لضمام بن ثعلبة : « أفلح إن صدق » بعد أن قال ضمام والله لا أزيد عليها ولا أُنقص يعنى أركان الإسلام .

الشرط السادس : الإخلاص ، وهو تصفية العمل بالنية الصالحة عن جميع شوائب الشرك كما قال تعالى : « ألا لله الدين الخالص » وقال : « وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وقال : « قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين » وقال : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين»

Made With Pdf Office

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » .

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل » .

الشرط السابع : المحبة : أي محبة هـذه الكلمة ومـا تقتضيه من نفي الشرك وفروعه ومحبة أهلها العاملين بها (وكذلك بغض أعدائها) ، كما قال تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » ، وقال : « ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

وفى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان .. أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذفُ فى النّار » .

وعلامة محبة المرء لهذه الكلمة وما تقتضيه متابعته للرسول صلى الله عليه وسلم فى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه كما قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وتسمى هذه الآية آية المحنة ، لأن الله أمتحن بها من ادعى المحبة كما هو واضح .

وما أكثر من ادعى هذه المحبة وهو عنها بعيد .

وكل يدعى وصلا لليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

فإذا توفرت هذه الشروط فى قائل : لا إله إلا الله أثمرت فعل الواجب — والمندوب — وترك المحرم — والمكروه — وقد يقع قائلها فى ترك واجب أو فعل محرم فإن تاب تاب الله عليه وغفر له ، ومن لم يتب فهو تحت المشيئة الالهية ، إن شاء الله غفر له وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة ، فدخول الجنة للموحد مقطوع به .

ويتضح مما سبق من النصوص الرد على ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى زعمت أن مجرد معرفة القلب كاف فى ضمان دخول الجنة استدلالا بمثل قوله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة .

Made With Pdf Office

وهو زعم مردود ، لأن (لا إله إلا الله) كما قيدت بالعلم قيدت بغيره كالنطق بها والاخلاص لله .

الطائفة الثانية : زعمت أن مجرد إظهار الشهادتين كاف فى دخول الجنة، وإن لم يحصل اعتقاد ، وهم غـــلاة المرجئة استدلالا بمثل قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وهو مردود أيضاً ، لأن النصوص الأخرى قيدت هذا الاظهار بالاخلاص والعلم واليقين ، .

الطائفة الثالثة : زعمت أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار وان قال لا إله إلا الله بقيودها المذكورة ، وهـــم الخوارج والمعتزلة ، وهو مردود كذلك بدليل حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيته فإذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال : « مامن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت : وان زنا وان سرق ؟ قال « وإن زنا وإن سرق قلت : وان زنا وإن سرق ؟ قال : « وإن زنا وإن سرق ،، ثلاثاً ، ثم قال فى الرابعة : « على رغم أنف أبي ذر ».

والله تعالى يقول : « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .»

Made With Pdf Office